نظم أبو مروان عبد الملك الجزيري موضوعاته وجانب الإبداع فيه

Abu Marwan Abdul-Malik Al-Jaziri's poetry, its topics and the aspect of creativity in it

بلبول زليخة [1،*]، بلقاسم رفرافي [2]

1جامعة بسكرة – الجزائر، zouleykha.balboul@univ-biskra.dz

2جامعة بسكرة – الجزائر ، belkacem.refrafi@univ-biskra.dz

مخبر أبحاث في اللغة والأدب الجزائري

تاريخ الإيداع: 2022/09/01 **تاريخ المراجعة**: 2022/10/09 **تاريخ النشر**: 2022/11/30

ملخص:

أبو مروان عبد الملك بن إدريس الجزيري من شعراء القرن الرابع الهجري وهو أحد شعراء الأندلس المجيدين وقته وممن اجتمع له بهذا الإقليم نوعا البلاغة في المنثور والمنظوم، عالم و شاعر كثير الشعر، غزير المادة، معدود من أكابر البلغاء، به خُتِم بلغاء كُتاب الأندلس، تناولنا جانب من سيرته الذاتية لتسليط الضوء على أغراضه الشعرية الكثيرة والمتنوعة، فالجزيري له مقطوعات شعرية كثيرة مدونة بالإضافة إلى قصيدته التعليمية في الأدب والسنة، ألف في أغراض عديدة كالمدح والوصف لاسيما وصف الطبيعة على لسان الأزاهير وتفوق فيه على معاصريه ونال به المقام العالي عند المنصور بالإضافة إلى أغراض أخرى كالغزل والحنين والاستعطاف والتعليم والحكمة والشكوى فأبدع ومَتَّعَ .

الكلمات المفتاحية: نظم ،أبو مروان،الجزيري،موضوعات، جانب، إبداع.

Abstract

Abu Marwan Abdul Malik bin Idris Al-Jaziri. One of the poets of the fourth century AH. He was one of the great Andalusian poets. His writings were excellent in prose and poetry in his region. He was a scholar and a poet who wrote plenty of poems and literary productions. Furthermore, he was among the greatest eloquents and writers of Andalusia. Hence, we dealt with part of his biography to introduce his many and varied poetic purposes. Al-Jaziri had so many verses and instructive poem in literature and the Sunnah of the Prophet. He further composed in many categories such as praise and description, especially the description of nature using the flowers.Thus,he excelled in it over his contemporaries, and became one of Al-Mansur's close associates. Inaddition, he wrote in other types like flirtation, nostalgia, sympathy, education, wisdom, and complaint.

***Key words**: Poetry, Abu Marwan, Al-Jaziri, topics, side, creativity.*

* المؤلف المراسل.

1- مقدمة

لقد ألف الشعراء قديما و حديثا في أغراض متعددة وذلك حسب ما يقتضيه الحال و المقام ، فأبدعوا و تفننوا في ذلك ، على غرار شاعرنا أبي مروان عبد الملك الجزيري (394هـ).

فما هي أغراض شعر شاعرنا الجزيري؟

وما مجال الإبداع و التفوق فيه؟

قبل الحديث عن هذا الموضوع و التوسع فيه لابد من التعرض لعصر الشاعر و إعطاء نبذة عن حياته.

2-عصر الشاعر

عاش أبو مروان الجزيري في القرن الرابع الهجري بالأندلس وتوفي في العقد الأخير منه سنة 394 هـ، وأول ذكر له كان في عصر الحجابة العامرية، أي باستيلاء محمد بن أبي عامر على الحكم وتوليه الحجابة وتلقبه بالمنصور عام 371هـ.[1]

وهو أحد وزراء الدولة العامرية استوزره الحاجب المنصور بن أبي عامر بعد الوزير أبي الحسن جعفر بن عثمان المصحفي، كان عالما أديبا شاعرا قال عنه الحميدي: ((كثير الشعر، غزير المادة، معدود في أكابر البلغاء، ومن ذو البديهة في ذلك، وله رسائل و أشعار كثيرة مدونة)) وقد عده ابن حيان خاتمة بلغاء كتاب الأندلس.[2]

3-حياة أبي مروان عبد الملك الجزيري

3-1 اسمه ونسبه :

هو أبو مروان عبد الملك بن إدريس الجزيري، وقد أجمع المترجمون لأبي مروان عبد الملك بن إدريس الجزيري الخولاني الأزدي على نسبته إلى الجزيرة الخضراء في الأندلس، فهذا ابن الأثير يقول((هذه النسبة إلى الجزيرة الخضراء بالأندلس ينسب إليها الوزير أبو مروان عبد الملك بن إدريس المعروف بابن الجزيري)).[3]

3-2 مولده ونشأته :

لم تذكر المصادر التي ترجمت لعبد الملك الجزيري سنة ولادته ولا مكانها، كما لا نعرف شيئا عن نشأة الجزيري، طفولته وشبابه وتعليمه وعلمه، إلى أن أصبح مؤهلا ليكون بمثل هذا القدر من العلم والأدب ويتبوأ منصب كبير الكتاب لدى الحاجب المنصور بن أبي عامر، وصاحب ديوان إنشاء في أيامه، ومن ثم وزيره ولابنه عبد الملك المظفر بعد أبيه.[4]

ويقول بعض الباحثين بأنه يمكن التكهن بأنه ولد في أواخر النصف الأول من القرن الرابع الهجري ولعله في أثناء العقد الرابع أو الخامس منه.[5]

ولعل مولده كان في الجزيرة الخضراء التي نسب إليها، فنسبته ((الجزيري)) تشي بان مسقط رأسه كان فيها وأنه لقب بالجزيري عندما ارتحل منها إلى قرطبة تذكيرا بأصله، ومما يرجح ذلك قول الرشاطي في اختصار اقتباس الأنوار عن الجزيرة الخضراء: إنه ((ينسب إليها أبو مروان عبد الملك بن إدريس المعروف بالجزيري)).[6]

3-3 سجنه :

سجن الجزيري مرتين أولاهما في عهد المنصور،والثانية في عهد ابنه عبدالملك المظفر،ولقي حتفه في السجن.

أما سبب سجن الجزيري الأول فهو اغتراره بنفسه وظنه انه صار يحتل المكانة الرفيعة، وأن المنصور لا يستطيع الاستغناء عنه،وهذا إذا نظرنا إلى الفترة الزمنية التي قضاها في كنفه، والتي تزيد عن العقدين،إذصار مقربا عنده ومنادما له،وغدا كاتبه الأول ورئيس ديوان الإنشاء لديه،فقد عتب عليه المنصور إلى درجة الغضب،وسخط عليه ثم سجنه في المطبق بالزاهرة مدة، لأنه كان يزري بغيره من الكتاب، ويحب الاشتمال على ابن أبي عامر،ويتصور فرط حاجته عليه في الإنشاء ولم يكن شأنهم،فسخط عليه المنصور،وأقصاه عن حضرته على فرط حاجته إلى خدمته.[7]

فسجنه في مطبق الزاهرة واستعطفه برسائل وأشعار عدة فلم يسمع منه،ثم صفح بعد عنه،فكتب إليه الجزيري:

عجبت من عفو أبي عامر لابد أن تتبعه مِنَّهْ

كذلك الله إذا ما عفا عن عبده أدخله الجنة

فسرّ المنصور بذلك،وصرفه إلى حاله،ورد عليه ما كان اعتقل من ماله، وظل رئيسا لديوان الرسائل إلى أن توفي المنصور بن أبي عامر.[8]

وأما سجن الجزيري الثاني في عهد عبدالملك المظفر فلم يدم طويلا إذ سرعان ما قتل في السجن من قبل قوم من السودان دخلوا عليه في مطبقه((وخنقوه،وأشيع موته وأخرج ميتا بعد أيام، وأسلم إلى أهله ولا أثر به،ودفن في شوال سنة أربع وتسعين)).[9]

4-3 وفاته :

يقال بان عبدالملك الجزيري لقي حتفه على يد المظفر بن المنصور سنة 394 هـ في السجن.

5-3 مكانته العلمية والأدبية :

أثنى المؤرخون الأندلسيون والمغاربة جميعا على ابن الجزيري وأشادوا بمكانته العملية والأدبية الرفيعة.

فقد روى ابن بشكوال عن ابن حيان قوله: ((ولم يخلف مثله كتابة وخطابة وبلاغة وشعرا وفهما ومعرفة، و به ختم بلغاء كتاب الأندلس رحمه الله)). ووصفه الحميدي بأنه: ((عالم أديب شاعر كثير الشعر، غزير المادة معدود في أكابر البلغاء، ومن ذوي البديهة في ذلك)).

ووصفه الفتح بن محمد بن خاقان بأنه ((علم من أعلام الزمان وعين من أعيان البيان،باهر الفصاحة،طاهر الجناب والساحة)).

ووصفه ابن الأبار القضاعي بأنه: ((كان في الغاية من البيان والخطابة)).[10]

6-3 أثاره :

لم تذكر لنا المصادر شيئا من مصنفات أبي مروان الجزيري، سوى ما ذكره الحميدي إذ كان: ((له رسائل وأشعار كثيرة مدونة، ومن مستحسن مطولاته قصيدة له في الآداب والسنة كتب بها إلى بنيه، لا علم لأحد مثلها في معناها)).[11]

4- أغراض شعر الجزيري :

لقد ذكر في كتب بعض المترجمين من أن شاعرنا الجزيري كثير الشعر غزير المادة... وله رسائل وأشعار كثيرة مدونة، إلا أننا لم نجد سوى بعض المقطوعات الشعرية بالإضافة إلى قصيدته الرائية، وبما أننا نحكم على ما يوجد بين أيدينا من شعر لمعرفة أغراض الشاعر، هنا نستطيع أن نقول بأنه لم يؤلف في جميع الأغراض كما هو الشأن بالنسبة لبعض معاصريه ويمكننا أن نذكر هاته الأغراض بالترتيب طبقا لما وصلنا من شعره لأن أغلبه ضاع ولا نعرف عليه أي شيء ولم يبقى من شعره سوى بضعة و ثلاثمئة بيت.

1-4 المدح : إستحوذ المدح على النصيب الأوفر من شعر الجزيري لكونه كان مقربا من المنصور، واستغل سرعة بداهته وحسن ذكائه وحنكته ليحضى بما حضي به من مكانة مرموقة عند الملك فكان يصف ممدوحه بالشجاعة والمروءة والإقدام والوفاء والكرم ومما أشبه ذلك من معاني الشرف والنبل التي يسبغها الشاعر على ممدوحه. هذا ما جعل الملك المنصور بن أبي عامر يعجب به فيما تقدم من صاعد البغدادي.

فقد حكى أنه دخل على المنصور يوم عيد، وعليه ثياب جدد وخف جديد، فمشى على حافة البركة لازدحام الحاضرين في الصف، فزلق فسقط في الماء، فضحك المنصور، وأمر بإخراجه، وقد كاد البرد أن يأتي عليه، فخلع عليه، وأدنى مجلسه، وقال: هل حضرت شيء؟ فقال بيتين من الشعر فقال أبو مروان وقد استبرد ما أتى به، فقال له هلا قلت:

سُروري بِغُرَّتِكَ المُشرِقَه وَديمَةِ راحَتِكَ المُغدِقَه

ثَنانيَ نَشوانَ حَتّى هَوَيتُ في لُجَّةِ البِركَةِ المُطبِقَه

لَئِن ظَلَّ عَبدُكَ فيها الغَريق فَجودُكَ من قَبلِ ذا أَغرَقَه

فقال له المنصور: لله درك يا أبا مروان! قسناك بأهل بغداد ففضلتهم، فبمن نقيسك بعد[12]؟.

وقد ذكر عنه بأنه كان بين يدي المنصور بن أبي عامر في ليلة يبدو فيها القمر تارة ويخفيه السحاب تارة: فقال مادحاً بديهة:

أَرى بَدرَ السَماءِ يَلوحُ حيناً فَيَبدو ثُمَّ يَلتَحِفُ السَحابا

وَذاكَ لِأَنَّه لَمّا تَبَدّى وَأَبصَرَ وَجهَكَ اِستَحيا فَغابا

مَقالٌ لَو نُمي عَنّي إِلَيهِ لراجَعَني بِتَصديقي جَوابا[13]

وعندما صنع المنصور بن أبي عامر صنيعا، لتطهير إبنه عبد الرحمان وكان عام قحط فارتفع السعر في قرطبة فبلغ ربع الدقيق دينارين، فجلا الناس فلما كان يوم ذلك الصنيع، نشأت في السماء سحابة عمت الأفق، ثم أتى المطر الوابل، فاستبشر الناس وسر المنصور بن أبي عامر فقال الجزيري مادحاً:

أَمّا الغَمامُ فَشاهِدٌ لَكَ أَنَّهُ لا شَكَّ صِنوكَ بَل أَخوكَ الأَوثَقُ

وافى الصَنيعَ فَحينَ تَمَّ تَمامُهُ في النَحوِ أَنشَأَ وَدقهُ يَتَدَفَّقُ

وَأَظُنُّه يَحكيكَ جوداً إِذ رَأى في اليَومِ بَحرَكَ زاخِراً يَتَفَهَّقُ[14]

وفي موقف آخر يخاطب الشاعر ممدوحه قائلاً له: إن الربيع قد حياه بباكر الورد الذي طاب نفحه، حَمُرَ خداً كحبيب سرى ليلاً للقاء محبه، بقوله:

أَهدى إِلَيكَ تَحِيَّةً مِن عِندِهِ زَمَنُ الرَبيعِ الطَلقِ باكِرَ وردِهِ

يحكي الحَبيبَ سَرى لِوَعدِ مُحِبِّهِ في طيبِ نفحَتِهِ وَحُمرَةِ خَدِّهِ[15]

ومن شعره في المدح كذلك ما أرسل به من شعر في مدح الوزير أبي مروان عبد الملك بن شهيد ووصفه للورد في أخريات أيامه قوله [البسيط]:

قُل لِلوَزيرِ الَّذي جَلَّت فَضائِلُهُ وَقامَ فينا مَقامَ الغَيثِ نائِلُهُ

إِذ بانَ فَضلُ مَساعِيهِ وَهِمَّتِهِ فَسِّر لَنا شَرحَ مَعنى سالَ سائِلُهُ

أَواخِرُ الوَردِ إِذ تَجنيهِ مُلتَقِطاً أَزكى وَأَعطَرُ نَشراً أَم أَوائِلُهُ

وَأَيُّ وَصلَيهِ مَوجوداً وَمُفتَقَداً أَولى وَأَجدَرُ أَن تُرعى وَسائِلُهُ

وَقد أَتاكَ لِتَوديعٍ عَلى عَجَلٍ خُضراً مقانِعُهُ حُمراً غلائِلُهُ

فَامنَحهُ مِنكَ قَبولاً وَاقضِ نَهمَتَهُ مِنَ الوَداعِ فَقَد شُدَّت رَواحِلُهُ

لا زِلتَ دَهرَكَ مَحبُوّاً زِيارَتَهُ إِذا اِنقَضى عامُهُ وافاكَ قابِلُهُ[16]

2-4 الوصف :

وصف الطبيعة المقرون بالمدح : فمن نماذج شعر الطبيعة في فترة الحجابة ما كان يمزج فيه وصف الطبيعة بالمدح، وكثيرا ما يكون هذا حين يحدث الوصف بحضرة الممدوح، أو حين يكون الموصوف مما يتصل به، وكثيرا ما كان الحاجب يحث على هذا الوصف في مجلس من مجالسه أو روضة من رياضه.[17]

على غرار قول الجزيري يصف مجلسا للمنصور بن أبي عامر تتألف فيه باقات الياسمين والنرجس والبنفسج والسوسن والخيري والورد فيقول:

لِلياسمينِ تَطلُّعٌ في عَرشِهِ مِثل المَليكِ عراهُ زَهوٌ مُطرِقُ

وَنَضائِدٌ مِن نَرجسٍ وَبَنَفسَجٍ وَجَنيّ خيرِيٍّ وَوَردٍ يعبَقُ

تَرنو بِسجوِ عُيونِها وَتَكادُ مِن طَرَبٍ إِلَيكَ بِلا لِسانٍ تَنطِقُ

وَعَلى يَمينِكَ سَوسَناتٌ أَطلَعَت زَهرَ الرَبيعِ فَهُنَّ حُسناً تُشرِقُ

لَكَأَنَّما هِيَ في اِختِلافِ رُقومِها راياتُ نَصرِكَ يَومَ بَأسِكَ تَخفقُ

في مَجلِسٍ جَمَعَ السُرورَ لِأَهلِهِ مَلكٌ إِذا جُمِعَت قَناهُ يفرقُ

حازَت بِدَولَتِهِ المَغارِبُ عزّةً فَغَدا لِيَحسُدها عَلَيهِ المَشرِقُ[18]

فالشاعر يصف نواوير إحدى رياض المنصور بالزاهرة، فيصور منظرا يسحر الألباب فيه الياسمين بارزا كالمليك الذي عراه الزهو، وتنبعث من النرجس والبنفسج والسوسن والخيري والورد روائح زكية، في حين يظهر على يمين المنصور حسن السوسن، والكل يكاد ينطق للأمير في مجلسه، وهي في تنوعها و إختلاف ألوانها شبهها الشاعر برايات المنصور التي تخفق في يوم نصره على أعدائه.

ويظهر من خلال الأبيات حرص الشاعر على إرضاء المنصور والفوز بإعجابه، بما يظهره من حب له وشوق للقياه ومحادثته، وكسب نواله وإنما ذلك شعور لدى الشاعر تجاه ممدوحه يعكسه على تلك النواوير ليعبر عن حبه له، فينال رضاه، وعطيته.

وبلغ من ولع منصور ابن أبي عامر بالزهور وعشقه لها أن سمى بناته بأسماء الزهور، فكان منهن نرجس وبنفسج وبهار، فنظم الشعراء في وصف الزهور قصائد تبين فضيلة كل نوع منها، وهم في هذا يحكون خصائص بنات المنصور نفسه فقال الجزيري على لسان نرجس العامرية:

حَيّتكَ يا قَمَرَ العُلا وَالمَجلِسِ أَزكى تَحِيَّتِها عُيونُ النَرجِسِ

زَهراً تُريكَ بِشَكلِها وَبِلَونِها زَهرَ النُجومِ الجارِياتِ الكُنَّسِ

مَلَكنَ أَفئِدَةَ النَدامى كُلَّما دارَت بِمَجلِسِهِ ممَدارَ الأَكؤُسِ

مِلْكَ الهُمامِ العامِرِيِّ مُحَمَّدٍ لِلمكرُماتِ وَلِلنُّهى وَالأَنفُسِ[19]

كما كتب الجزيري في أبيات بعثها إلى المنصور بن أبي عامر على لسان بهار العامرية في كانون الأول 383 هـ وهي: [الكامل]

حَدَقُ الحِسانِ تُقِرُّ لي وَتَغارُ وَتضِلُّ في صِفَتي النُهى وَتَحارُ

طَلَعت عَلى قُضبي عُيونُ كَمائِمي مِثلَ العُيونِ تَحُفُّها الأَشفارُ

وَأَخَصُّ شَيءٍ بي إِذا شَبَّهتني دُرَرٌ تَنَطَّق سِلكَها دينارُ

أَهدَت لَهُ قُضب الزُمردِ ساقهُ وَحَباهُ أَنفسَ عطرِهِ العَطّارُ

أَنا نَرجِسٌ حَقّاً بَهرتُ عقولَهُم بِبَديعِ تَركيبي فَقيلَ بَهارُ

إِنّي لمن زَمنِ الرَبيعِ تَرُبُّني قِطَعُ الرِياضِ وَتُلقِحُ الأَمطارُ

فَأَكونُ عِطراً لِلأَنوفِ وَمَنظَراً بَهِجاً تَهافَتُ نَحوَهُ الأَبصارُ

وَتَحيّةٌ بَينَ الندامِ تُحَثُّ لي نُخَبُ الكُؤوسِ وَتَنطِقُ الأَوتارُ

وَأَقَلُّ جودِ العامِرِيِّ محمَّدٍ أَلفٌ حَكَت حَدَقي وَتِلكَ نُضارُ[20]

ففي هذه الأبيات سلك الجزيري طريقا مغايرا في وصف البهار، فجعلها تنطق عن نفسها وتفتخر بمحاسنها على غيرها وكأنها حسناء تنافس غيرها من النساء في الجمال لتتفوق عليهن، وأراد الشاعر بهذا إمتاع ممدوحه بالوصف ونيل إعجابه بأسلوب طريف لينال هدفه التكسبي منه، ولعله قد حدد ذلك النوال في البيت الأخير بألف حكت حدق النوار، يعني الدراهم والدنانير، واشترط أن تكون من الذهب (وَتِلكَ نُضارُ)، ومثل هذه الأبيات تعكس ما كان عليه الشعراء مع الوزراء والأمراء، يصفون فيمزجون الوصف بالمدح حينا، وبالظرف والطرافة حينا أخر لتسلية الممدوح ونيل إعجابه وعطائه.

ويصف أبو مروان الجزيري البنفسج مؤثرا إياه على النرجس والبهار في رسالة كتبها إلى المنصور بن أبي عامر، يقول: [الكامل]

شَهِدَت لِنُوّارِ البَنَفسَجِ أَلسُنٌ مِن لَونِهِ الأَحوى وَمِن إيناعِهِ

بِمشابِهِ الشعرِ الأَثيثِ أَعارَهُ قَمَرُ الجَبينِ الصَلتِ نور شُعاعِهِ

وَلَرُبَّما جَفَّ النَجيعُ مِن الطُلى بِصَوارِمِ المَنصورِ يَومَ قِراعِهِ

فَحَكاهُ غَيرَ مُخالِفٍ في لَونِهِ لا في رَوائِحِهِ وَطيبِ طِباعِهِ[21]

فقد أشبهت نواوير البنفسج الشعر الأحم الذي انعكس عليه نور من أشعة القمر الطلق فأكسبه بريقا، كما صور الشاعر البنفسج في لونه وشكله بسيوف المنصور المخضبة بدم الأعداء يوم الحرب، إلا أنه يختلف عنه في الروائح وطيب طباعه.

وفي أبيات أخرى يصف الجزيري السوسن وصف طريق فيصف هيئته وألوانه وحسن منظره ويقف عند تسميته فيراها ظلما له ويقترح أن يسمى باسم الملك الفارسي (ساسان) لعظم قدره وفي ذلك يقول:

وَمُلَسَّنِ الطاقاتِ أَبيَضَ ناصِعٍ يُزهى بِأَصفَرَ مِن جَناهُ فاقِعِ

أَعدادُ زَهرَتِهِ إِذا حَصَّلتَها سِتٌّ سِوى عَدَدِ الرَقيبِ السابِعِ

سَكَنت قَرارَةَ حِجرِهِ كَلَفاً بِهِ كَالأُمِّ تَكلَفُ بِالصَغيرِ الراضِعِ

صافي الأَديم إِذا تَخَلَّقَ صَدرُهُ بِخلوقِ أَرؤُسِها الذَكِيِّ المائِعِ

أَهدى الصَبابَةَ وَالهَوى بِنَسيمِهِ وَبَديعِ مَنظَرِهِ الأَنيقِ الرائِعِ

سَمَّوهُ بِالسَوسانِ ظُلماً وِاسمُهُ في ما خَلا ساسانَ غَيرُ مدافِعِ

لَمّا اِستَذاعَ بِفارِسٍ كَلِفَت بِهِ أَملاكُهُ فَدَعَتهُ بِاِسمٍ شائِعِ[22]

ب-وصف المنشات العمرانية : وصف شاعرنا المنشأة العمرانية والبركة الباهضة التكاليف التي أنشأها الحاجب المنصور بمناسبة ختان ابنه عبد الرحمان شنجول قائلا:

وَتَوَسَّطَتها لُجَّةٌ في قَعرِها بِنتُ السَلاحِفِ ما تَزالُ تُنقنِقُ

تَنسابُ مِن فَكّي هِزَبرٍ إِن يَكُن ثَبتَ الجَنانِ فَإِنَّ فاهُ أَخرَقُ

صاغوهُ مِن ندٍّ وَخَلَّقَ صَفحَتي هاديهِ محضُ الدُرِّ فَهوَ مُطَوَّقُ

لِلياسمينِ تَطلُّعٌ في عَرشِهِ مِثل المَليكِ عراهُ زَهوٌ مُطرِقُ

وَنَضائِدٌ مِن نَرجسٍ وَبَنَفسَجٍ وَجَنيّ خيرِيٍّ وَوَردٍ يعبَقُ

تَرنو بِسجوِ عُيونِها وَتَكادُ مِن طَرَبٍ إِلَيكَ بِلا لِسانٍ تَنطِقُ

وَعَلى يَمينِكَ سَوسَناتٌ أَطلَعَت زَهرَ الرَبيعِ فَهُنَّ حُسناً تُشرِقُ

فَكَأَنَّما هِيَ في اِختِلافِ رُقومِها راياتُ نَصرِكَ يَومَ بَأسِكَ تَخفقُ

في مَجلِسٍ جَمَعَ السُرورَ لِأَهلِهِ مَلكٌ إِذا جُمِعَت قَناهُ يفرقُ

حازَت بِدَولَتِهِ المَغارِبُ عزّةً فَغَدا لِيَحسُدها عَلَيهِ المَشرِقُ[23]

ج- وصف السجن :

لقد وصف شعراء الأندلس مكان الحبس وهو السجن، ويسمى المطبق أيضا في ثنايا بعض المقطوعات أو القصائد كما فعل الجزيري واصفا سجنه الذي سجن به وهو من سجون القلاع:

في رَأسِ أَجرَدَ شاهِقٍ عالي الذُرا ما بَعدَهُ لِمُوَحِّدٍ مِن مَعصرِ

يَأوي إِلَيهِ كُلُّ أَعوَرَ ناعِبٍ وَتَهُبُّ فيهِ كُلُّ ريحٍ صَرصَرِ

وَيَكادُ مَن يَرقى إِلَيهِ مَرَّةً في عُمرِهِ يَشكو اِنقِطاعَ الأَبهَرِ

فَكَأَنَّ مَعمورَ المَنازِلِ حَولَهُ ضيقاً وَإِظلاماً مَلاحِدَ مَقبرِ[24]

يوجد هذا السجن في رأس جبل عالي، من يدخل إليه لا يعمر بعدها ولا تأتيه إلا الغربان التي يتشاءم منها الإنسان ومن أخبارها، وهو موطن للرياح الشديدة، ومن يصل إليه مرة واحدة في حياته ستكون الأولى والأخيرة، والمنازل الموجودة حوله مظلمة وضيقة مثل القبور فهو في رأس جبل عال ضيق ومظلم.

3-4 الخمريات :

ومنها هذه المقطوعة في وصف الخمرة، فقد ذكر بأن الجزيري شرب ليلة معالمنصور فكان ما أوجي أن إرتجَلَ مقطوعة يصف فيها الخمرة ومجلس الشراب واللهو: (السريع)

أنظُر إِلى الكَأسَينِ كَأسِ المها وَالراحِ في راحَةِ ساقِيها

تَنظُر إِلى نارٍ سَنا نورها يَحمِلُها وَالماءُ يَحويها

كَأَنَّها نارُ الهَوى في الحَشا يُلهِبُها الدَمعُ وَيُذكيها

صَديقَةُ النَفسِ وَلكِنَّها تَصرَعُها صَرعَ أَعاديها

إِذا دَنا الإِبريقُ من كَأسِها لِصَبِّها قُلتُ يُناجيها[25]

يودِعُها الأَسرارَ شُرّابُها وَشَأنُها الغَدرُ فَتُفشيها

4-4 الغزل : وهو الغزل الذي تطغى عليه حرارة العاطفة، وتتدفق منه الأشواق، ويصوّر خلجات النفس، وفرحة اللقاء، ويصور آلام الفراق، ولا يحفل بجمال المرأة الجسدي، بقدر ما يحفل بجاذبيتها وسحر نظراتها، وقوة أسرها وتمني وصالها.

وكان الغزل العذري أو العفيف متجذرا في أعماق الشاعر الأندلسي بحكم أصوله العربية، وتأثره بشعراء المشرق، فنرى عبد الملك الجزيري يقف متسائلا حيرانا، هل أن جميع العشاق عانوا ما عاناه ؟ لا سيما أن الحب أوصله إلى حالة لم يكن يتمناها حتى بلغت فيه النفس التراقي، فيقول:

أَتُرىَ الْعُشّاقَ لاَقُوا مَا أُلاَقِي فَقَدْ بَلَغَتْ بِي الْنَّفسُ الْتَراقِي؟
خصصت من الْهوى بِأَمْر شَيْءٍ وَكُنْتُ أَرَىَ الْهَوَى عذب المذاق
أَنا العَبْد الَّذِي لَا عتق يَرْجُو وَلَا يجد السَّبِيل إِلَى الْتَّلاَقِي [26]

5-4 الحنين : دفعت غربة السجن بعدد من الشعراء إلى الحنين فحنوا إلى الوالدين والأبناء، والوطن كل على إنفراد، كما حنّوا بصورة تعميمية إليهم وقد جعلت ظلمة السجن بعض الشعراء يرفعون أشواقهم إلى زوجاتهم، ومن ذلك أبيات لأبي مروان الجزيري وردت في قصيدته المشهورة التي بعث بها لأبنائه من سجنه:

أَسَفي عَلى فَقدِ المَتاعِ بِحُسنِها وَظِلالِها وَنَسيمها المُتَعَطِّرِ
اللهُ يَعلَمُ أَنَّني مُذ غُيِّبَت عَن ناظِرَيَّ هَجَرتُ حُسنَ المَنظَرِ
وَجَنَيتُ صَبراً بَعدَها مرَّ الجنى وَمَزَجتُ سمّاً دِرَّة العَيشِ المَري
يا قُرَّةَ العَينَينِ إنّي كُلَّما رُمتُ السُلُوَّ أَباهُ شَوقي المُعتَري
وَطَوارِقُ الفِكرِ الَّتي عَوَّضنَني مِن صِحَّتي حالَ السَقيمِ المُحضَرِ
بَرَحَ الخَفاءُ فَما لِنَفسي حيلَةٌ في الصَبرِ عَنكَ وَلَو دَنا لَم أَصبِرِ
يَلتاحُ مِن تِلقاءِ أُفقِكَ لي سَناً وَأريحُ مِن ذِكراكَ ريحَ العَنبَرِ [27]

فالشاعر متضايق من سجنه الذي حرمه التمتع بحسن زوجته وجمالها، والعيش بين أحضانها، وهذا ما جعله يرى شيء بشع المنظر وهو يحاول النسيان قدر المستطاع و بأن يتسلى ولكن أشواقه إليها تمنعه، فساءت حالته، وأصابه السقم، إلاّ أن وميض الأمل يريحه.

فالأبيات كلها تمتلئ بالشوق والحنين على زوجته، وعاطفة الشاعر صادقة في التغيير عن مرارة الفراق وشدة الشوق، كما وجد الأبناء حنينا من آبائهم السجناء، ومنهم قول شاعرنا الجزيري:

يا عابِدَ الرَحمانِ جُنِّبتَ الأَسى كَم مِن أَسىً لَكَ في الجَوانِحِ مُضمرِ
تَتَقَطَّعُ الصُعَداء أَنفاسي بِهِ وَبِفَيضِ أَجفاني وَإِن لَم أَشعُرِ
أَبلِغ عُبَيدَ اللهِ صِنوَكَ أَنَّني لِفراقِهِ كَالسادِرِ المُتَحَيِّرِ
عِلقي النَفيسُ الخَطرُ أَفديهِ مِنَ الخَطبِ المُلِمِّ بِكُلِّ عِلقٍ مُخطِرِ
وَمُحَمَّداً لِلَّهِ دَرُّ مُحَمَّدٍ زَهرٌ تَفَتَّحَ غِبَّ مُزنٍ مُمطِرِ
وَصَغيركُم عَبد العَزيزِ فَإِنَّني أَطوي لِفُرقَتِهِ جَوىً لَم يَصغُرِ

ذالكَ المُقَدَّمُ في الفُؤادِ وَإن غَدا كُفؤاً لَكُم في المُنتَمى وَالعُنصُرِ[28]

يحن هنا الجزيري إلى أبنائه الذين ذكرهم وسمى كل واحد منهم باسمه، وهذا دليل قاطع على شدة حبه لهم وتعلقه بهم، كما يبين لنا في الأبيات السابقة أنه يعاني الأسى ويذرف الدموع لفراقهم وتشتد به الحيرة، واكبر حنينه وشوقه كان إلى أصغرهم سنا عبد العزيز الذي يحظى بمحبة خاصة لصغر سنه.

6-4 الاستعطاف : وهو من عادات الشعراء عندما يخطئوا فيحاولون إستعطاف صاحب الأمر بعد أن يرو ظلمة السجن وذلته، وكيف لا وقد فقدوا الحرية بكل أبعادها،فيؤلفون أشعارا مستعطفين معترفين بذنوبهم ومن ذلك قول شاعرنا مستعطف المنصور:[البسيط]

قالوا جَفاهُ ثَلاثاً ثُمَّ غَرَّبَهُ فَلَيسَ يَرجو لَدَيهِ حظوَةً أَبَدا

جاروا وَما عَدَلوا في القَولِ بَل حَكَموا عَلى المَقاديرِ جَهلاً لا هُدُوا رَشَدا

أَلَيسَ يُوقِدُ نَصلَ السَيفِ ضارِبُهُ قَبلَ الصِقالِ مِراراً جَمَّةً عَدَدا

حَتّى إِذا ما سَقى حَدَّيهِ ريّهُما وَاِهتَزَّ لَدناً دَعاهُ الصارِمَ الفَردا

وَما المُهَذَّبُ إِلا مَن تَعَرَّقَهُ زَمانُهُ مُخطِئاً طَوراً وَمُعتَمِدا

مَن لَم يَذُق طَعمَ بُؤساهُ وَشدَّتَها لَم يَدرِ لَذَّةَ نعماهُ وَلا وَجَدا

وَدونَ هذا الَّذي قالوهُ أَقضِيَةٌ لِلَّهِ في حُكمِهِ لَم يُؤتِها أَحَدا

لا بُدَّ لِلقَدَرِ المَقدورِ مِن أَمَدٍ يَلقاكَ فيهِ عَلى حَتمٍ وَإِن بَعُدا[29]

وقال رحمه الله مستعطفا وطالبا المزيد من كرم المنصور بعد أن عفا عنه

عَجِبتُ مِن عَفوِ أَبي عامِرٍ لا بُدَّ أَن تَتبَعَهُ مِنَّه

كَذلِكَ اللَهُ إِذا ما عَفا عَن عَبدِهِ أَدخَلَهُ الجَنَّه[30]

7-4 التعليم : من مشهور ما صدر عن الجزيري وهو في السجن قصيدة تعليمية في الأدب والسنة كتب بها إلى إبنه عبد الرحمان مطلعها:

ألوي بعزم تجلّدي وتصبّري نأيُ الأحبة واعتياد تذكري

ويحث ابنه على طلب العلم قائلا:

وَاِعلَم بِأَنَّ العِلمَ أَرفَعُ رُتبَةٍ وَأَجَلُّ مُكتَسبٍ وَأَسنى مَفخَر

فَاِسلُك سَبيلَ المُقتنينَ لَهُ تَسُد إِنَّ السِيادَةَ تُقتَنى بِالدَفتَرِ

وَالعالمُ المَدعُوُّ حَبراً إِنَّما سَمّاهُ بِاسمِ الحَبرِ حَملُ المحبَرِ

وَالعِلمُ لَيسَ بِنافِعٍ أَربابَهُ مالَم يُفِد عَمَلاً وَحُسنَ تَبَصُّرِ[31]

كما نصح إبنه بالسكوت والاحتراس والحلم كقوله:

وَاِخزِن لِسانَكَ وَاِحتَرِس مِن نَطْقِهِ وَاِحذَر بوادِرَ غَيِّهِ ثُمَّ اِحذَرِ

وَاِصفَح عَنِ العَوراءِ إِن قيلَت وَعُد بِالحِلمِ مِنكَ عَلى السَفيهِ المُعور

وَكِلِ المسيءَ إِلى إِساءَتِهِ وَلا تَتَعَقَّبِ الباغي بِبَغيٍ تُنصَر

وَإِذا سُئِلتَ فَجُد وَإِن قَلَّ الجَدا جَهدُ المُقِلِّ أَداءَ وجدِ المكثرِ[32]

8-4 الشكوى: انفرد بالشكوى إلى المولى تبارك وتعالى بعض شعراء السجن لأنه هو الذي بيده الفرج ومنه المخرج، فأوكلوا أمرهم إليه ليطلق سراحهم، ويعيدهم إلى أهلهم وذويهم،على غرار شاعرنا الجزيري، الذي يفوض أمره لله سبحانه وتعالى في نهاية قصيدته المشهورة، ويبتهل إلى الله الرؤوف الودود السامع المجيب متضرعا إليه ليرقق قلب الحاجب المنصور ويصفح عنه ويخلصه من ما هم فيه:

وَاللَهُ حَسبُكُمُ وَحَسبي أَنَّهُ حَسبُ المُنيبِ القانِتِ المُستَغفِرِ

وَإِلَيهِ أُسنِدُ أَمرَكُم وَكَفى بِهِ سَنَداً لِكُلِّ مُفَوِّضٍ مُستَقدِرِ

وَعَلَيهِ أَقصُر حالَكُم فَهوَ الَّذي ما دونُهُ لِعِبادِهِ مِن مُعصِرِ

وَلَعَلَّهُ في بَعضِ ما يَقضي بِهِ مِمّا يَشاءُ بِلا وَزيرٍ موزرِ

يُدني لِقاءَكُمُ بِأَوبٍ عاجِلٍ تَرضاهُ نَفسُ الآمِلِ المُتَجَبِّرِ

لا تَسأَموا إِحضارَهُ رَغَباتِكُم فَهِباتُهُ مَبسوطَةٌ لَم تُحظَرِ

وَعَسى رِضا المَنصورِ يُسفِرُ وَجهُهُ فَيُديلَ مِن وَجهِ الفُراقِ الأَغبَرِ[33]

فهو يتمنى من المولى أن يجمعه بأولاده في أقرب وقت، لأنه هو المكلف بعباده ومعينهم وقت الشدة إذا أخلصوا له الدعاء، وثقة الشاعر في ربه قوية فلا شيء بعيد عليه ولا يمنع عباده الفرج فهباته مبسوطة لهم، ولجاء الشاعر إلى ربه بسبب ما يعانيه من عذابات الغربة والوحشة داخل سجنه، فهو يتوق إلى الحرية والعودة إلى بنيه مرة أخرى فهم في حاجة ماسة إليه، وهو في حاجة إليهم.

فرق له المنصور لما سمع البيت الأخير، وكان سببا في العفو عنه والإحسان إليه. وأعاده إلى ما كان عليه وزيادة من الإنعام والتقريب.

5- خاتمة:

مما تقدم سابقا نستطيع القول بان نجم الجزيري سطع في ربوع الأندلس وذاع صيته في الأفاق حتى بلغ المشرق، بفضل ذكائه ودهائه وحنكته في اختيار ألفاظه وتكييفها مع كل حال ومقال، ناهيك عن بديهته الناجمة عن فطرة وعن سليقة وموهبة، وامتلاك الملكة التي يعبر بها في كل مقام فيصل بها إلى قلب المنصور بن أبي عامر لاسيما في قصائده المدحية والوصفية والحربية، فتميز بالإجادة في الشعر والارتقاء بمستوى الفصاحة والبلاغة إلى أعلى الدرجات فيه، كما تميز ببديهته الحاضرة وسرعة إرتجاله في قول الشعر وكثرته وغزارة مادته، فاخترع وأبدع وكان سباقاً في جدّة بعض موضوعاته والميل بها إلى المديح والمفاضلة بين الأزهار، ناهيك على الأغراض الشعرية الأخرى كالوصف والغزل والحنين والاستعطاف والتعليم والشكوى معتمداً في ذلك على الأسلوب السهل الملائم للمقام ، فجعل من لغة شعره لكل مقام مقال ولكل حال مقتضاها بالإضافة إلى قدرته الفائقة لتوظيف محفوظه الثقافي والديني في شعره، مما جعله يتفوق على معاصريه و يحضى بمقام عال عند المنصور محمد بن أبي عامر، فجعله مقربه ولم يستغني عنه حتى آخر يوم وفاته.

6- المصادر و المراجع

1- إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي عصر سيادة قرطبة، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 1997.

2- أحمد عبد القادر صلاحية، شعر أبي مروان الجزيري الأندلسي، تحقيق أحمد عبد القادر صلاحية، دار المكتبي، دمشق، ط1، 1997.

3- أحمد هيكل، الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة، دار المعرف، القاهرة، ط14.

4- أمحمد بن لخضر فورار، من شعراء الأندلس ومختارات من شعرهم، مطبعة جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، ط1، 2013.

5- الحميدي، جذوة المقتبس، تحقيق روحية عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، لبنان.

6- د.صديق بتال حوران الساعدي، ظاهرة المقطعات في الشعر الأندلسي (عصر سيادة قرطبة)، دراسة موضوعية فنية، دار غيداء، الأردن، ط1، 2014.

7- طاهر سيف غالب، الروضات في الشعر الأندلسي في القرنين الرابع والخامس الهجريين، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط 2014.

8- فوزي عيسى،في الأدب الأندلسي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط1، 2009.

9- محمد سعيد محمد، دراسات في الأدب الأندلسي، جامعة سبها، ليبيا، ط1 ،2001.

10- المقري، نفح الطيب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، مج 4 .

11- هلال ناجي، قصيدة أبي مروان عبد الملك بن إدريس الجزيري في الآداب والسنة المتوفى 394 هـ، تحقيق هلال ناجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1994.

12- ياسر سلامة أبو طعمة، أبو مروان عبد الملك الجزيري كاتبا وشاعرا، دار حامد، عمان، ط2018.

هوامش وإحالات المقال

[1] أحمد عبد القادر صلاحية، شعر أبي مروان الجزيري الأندلسي، تحقيق أحمد عبد القادر صلاحية، دار المكتبي، دمشق، ط1، 1997، ص11.

[2] هلال ناجي، قصيدة أبي مروان عبد الملك بن إدريس الجزيري في الآداب والسنة المتوفى 394 هـ، تحقيق هلال ناجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1994، ص 8،9.

[3] أحمد بن لخضر فورار، من شعراء الأندلس ومختارات من شعرهم، مطبعة جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، ط1، 2013، ص 53.

[4] المرجع نفسه، ص53.

[5] أحمد عبد القادر صلاحية، شعر أبي مروان الجزيري الأندلسي، ص33.

[6] المرجع نفسه، ص33.

[7] أحمد بن لخضر فورار، من شعراء الأندلس، ص 55.

[8] المرجع نفسه، ص55.

[9] المرجع نفسه، ص55.

[10] هلال ناجي، قصيدةأبي مروان، ص 17.

[11] المرجع نفسه، ص18.

[12] المقري، نفح الطيب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، مج 4 ، ص82

[13] الحميدي، جذوة المقتبس، تحقيق روحية عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، لبنان، ص249.

[14] ياسر سلامة أبو طعمة، أبو مروان عبد الملك الجزيري كاتبا وشاعرا، دار حامد، عمان، ط2018، ص149.

[15] طاهر سيف غالب، الروضات في الشعر الأندلسي في القرنين الرابع والخامس الهجريين، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط 2014، ص 156.

[16] ياسر سلامة أبو طعمة، أبو مروان عبد الملك الجزيري كاتبا وشاعرا، ص164.

[17] أحمد هيكل، الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة، دار المعرف، القاهرة، ط14، ص 279.

[18] فوزي عيسى،في الأدب الأندلسي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط1، 2009، ص39.

[19] المرجع نفسه، ص39.

[20] طاهر سيف غالب، الروضات في الشعر الأندلسي في القرنين الرابع والخامس الهجريين، ص 170-171.

[21] المرجع نفسه، ص205.

[22] فوزي عيسى،في الأدب الأندلسي، ص50.

[23] عبد القادر صلاحية، شعر أبي مروان، ص96.

[24] ياسر سلامة أبو طعمة، أبو مروان عبد الملك الجزيري كاتبا وشاعرا، ص 171.

[25] محمد سعيد محمد، دراسات في الأدب الأندلسي، جامعة سبها، ليبيا، ط1،2001، ص198.

[26] د.صديق بتال حوران الساعدي، ظاهرة المقطعات في الشعر الأندلسي (عصر سيادة قرطبة)، دراسة موضوعية فنية، دار غيداء، الأردن، ط1، 2014، ص85.

[27] محمد سعيد محمد، دراسات في الأدب الأندلسي، ص 209.

[28] المرجع نفسه، ص 210.

[29] ياسر سلامة أبو طعمة، أبو مروان عبد الملك الجزيري كاتبا وشاعرا، ص 164-165.

[30] المرجع نفسه، ص 165.

[31] إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي عصر سيادة قرطبة، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 1997، ص 91.

[32] المرجع نفسه، ص 91.

[33] عبد القادر صلاحية، شعر أبي مروان، ص54.